الصفحة الأولى من الجزء الثاني (نسخة الأصل)

٢٢٠

حرف الضاد

الضفدع الخياط محمد ابن يوسف ٥
ضياء الدين للعبدي الشيخ المشهور بالديار المصرية كان حسن الشكل ظريفا فيه
عفة وديانه وتنديبه ظريف وتنديره حلو وكانت له مكارم ووجاهه قال يوما وقد
راى الشيخ محمد القصاد وهو في سماع يرقص فقال له يا قصاد الحنت الزرقه فقال
له القصاد سريعا من دقك الخارج واضافهم يوما انسان واحضر لهم توتا فلما اكلوه وفرغت
الضيافه فقال الشيخ ضيا الدين يا جماعه توته توته فرغت الحدوته قال لي
شيخنا العلامه تقي الدين قاضي القضاه السبكي هو الذي كان السبب في ولاية الشيخ تقي الدين
ابن دقيق العيد قضا الديار المصريه وحلف عليه بالطلاق من زوجته ابنة ... واخذه
وطلع به الى السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين وقال له جبتك بسفين بن عيينه او
الثوري كما قال وتوفي الشيخ ضيا الدين رحمه الله تعالى في جمادي الاخرة سنه تسع وعشرين
وسبع مئه بالقاهرة بزاويه بالقرب من جامع السلطان ٥
رضي الدين ابن خطيب بيت الابار محتسب القاهره وناظر البيمارستان المنصوري
اسمه يوسف ابن ابي بكر ٥

حرف الطاء

مهملة طا بطا بالطاء المهمله وبعدها الف وباء موحدة وطاء ثانية والف الامير سيف الدين
... الامير سيف الدين يلبغا اليحيوى احد امراء المئين مقدمي الالوف بحلب وبدمشق
كان رجلا اميا عريا اعجميا لا يعرف ما الناس فيه ولا يدري الفرق بين اللئيم والسفيه
ذاق فقد مثل ذلك الولد وعدم الصبر عليه والجلد فالعجب كل العجب حياته بعده
وكونه ما سكن فيه لحده لم يزل على حاله الى ان قضى بالموت وبعض عليه الفوت
وتوفي رحمه الله تعالى بحلب في صفر سنة خمسين وسبع مايه وقدم على البلاد طاطاي
عند الملك الناصر محمد هو وولده الامير سيف الدين اسندمر والامير سيف الدين قراكز
ولم يزل الى ان خرج ولده يلبغا الى حماه نايبا فخرج هو واولاده ولما توجه يلبغا الى حلب
نايبا توجهوا معه وصار هو امير مئه مقدم الف واولاده امرا ولما جا يلبغا نايبا الى
دمشق حضر معه ولما جرى له ما جرى وهرب هربوا معه ولما امسك بحماه امسكوا
وقيد هو وولده يلبغا وجهزا الى مصر فلما وصلا الى قاقون تلقاهما الامير سيف الدين
منجك فاطلعهما الى قلعة قاقون وافرد كل منهم عن الاخر ثم انه ركب الامير سيف الدين
على البريد وجهز الى مصر واما ولده يلبغا فخنق وحز راسه وجهز بعده ثم ان طابطا
جهز الى الاسكندرية ولما تولى الملك الناصر حسن بعد افرج عنه واطلقه وكانت مدة
مقامه في الحبس ثلاثه اشهر تقريبا وافرج عنه في شهر رمضان سنة ثمان واربعين
وسبع مايه ثم انه جهز اميرا الى حلب فاقام بها الى ان توفي رحمه الله تعالى في التاريخ المقدم
للطفرم طاجار بالطاء المهملة وبعد الالف جيم والف بعدها را الامير سيف الدين
الدوادار المارداني الناصري كان شكله مليحا ووجهه صبيحا مسترسل شعر
الذقن في سواد خفيف الحركة لا يلحقه الجواد وكان يغلب عليه اللعب واللهو
والانشراح والزهو لا يوثر على الرقص شيا ولا يتخذ غير ظله فيا على انه مكنه استا
مكينا كثيرا وحلمه من الدولة محلا اثيرا ركبه في البريد الى الشام مرات وتلقاه
الناس بالتحف والبركات وحصل له الجزيل في مدة قريبه واقتنا اشيا من كل صنف عجيبه

الصفحة الأخيرة من نسخة الأصل

٩٠ سم ٦

سامرت في العليا؛ حتى صرت شهوة كل شهوة

لا أستجيب لغير مدح الشيخ شمس الدين دعوة

يونس بن عيسى بن جعفر بن محمد القاضي شرف الدين الهاشمي الأرمنتي كان من
الفضلاء النبلاء، قليل الكلام كثير الاحتشام واسع الصدر بشاشًا كان سمع من
أبي العباس أحمد بن أحمد القرطبي واشتغل بالفقه على خال أبيه الرضي الأرمنتي وعلى
الشيخ جلال الدين الدشناوي وتولى الحكم بعدة أماكن منها دشنا وأدفو وإسنا وأبنوب
وقمولا وما معها من الثغر ونقاده وناب بقوص وبها من ثلاثين سنة في أهلها
راضون عنه وله معرفة بالفرائض والحساب والوراقة ودرس بالمدرسة العزية
ظاهر قوص وأعاد بالمدرسة الشمسية مدة قال كمال الدين الأدفوي وكان
حلو الخلوة ويتبسط ويبتسم وفيه تعدد وعليه مهابة فقيه النفس يتكلم على الوسيط
كلامًا حسنًا ولما حج آخر حجة اجتمع بقاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة وتحدث
معه فأعجبه سمته وأحسن إليه وأضافه ضيافة حسنة كبيرة وخطر له أن يوليه
الشرقية فذكرت له فقال أنا في آخر العمر ما أخرج من وطني وأيضًا فأنا في قوص
أي من ولي أقرني على حالي والكل على غيري وحج من علق ثم مات رحمه الله تعالى
بعد سلخه سنة أربع وعشرين وسبع مائة

اليونيني الشيخ شرف الدين علي بن محمد • وقطب الدين موسى بن محمد

تم الكتاب بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه
نهار الجمعة الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول
سنة ٩٧٣ من الهجرة النبوية على صاحبها
أفضل الصلاة والسلام
العبد الفقير المعترف بالذنب والتقصير الراجي عفو ربه القدير
أبو بكر عبد الرحمن بن أبي بكر العواجي نزيل مكة المشرفة
عفا الله عنه بمنه وكرمه آمين
آمين

الصفحة الأولى من الجزء الثاني (نسخة ق)

بسم الله الرحمن الرحيم عفوك اللهم

ادريس

عماد الدين اليمني

بن عبد الله الأمير عماد الدين الحسني الحمزي اليمني

كان أحد أمراء اليمن في دولة الملك المؤيد بصنعاء وكان فاضلا

فارسا مشهورا اتقن علوما وانشأ شعرا ومنظوما وكان

زيدي المذهب ناشر العلم المذهب هم أهل مذهبه ببلاد اليمن

أن يعقدوا له الزعامة ويرشحوه للإمامة لأنه جمع بين الشجاعة

والكرم ونحو من استبداده في تصرفه فامتنع ونزع يده فعظم

لذلك الملك المؤيد وأيده ولم يزل على حاله إلى أن تم أمره وتمت

عليه نعمته وتوفي رحمه الله سنة ثلث عشرة وسبعمائة ومن شعره

الزمان

عوجا على الرسم من سلمى بذي قار واستوقفا العيس في ساحة الدار

وسائلاها عسى تنبيكما خبرا يشفي فؤادي ويطفي بعض أوطاري

يا راكبا بلغا عني بني حسن وخص حمزة قوم عصبة الجار

الصفحة الأولى من الجزء السابع (نسخة ق)

علي بن عيسى

علي بن [illegible] بن سليمان بن [illegible] الشيخ الرئيس الكاتب الفاضل
المعتمد بهاء الدين أبو الحسن ابن الشيخ الفقيه [illegible] ناظر الأوقاف وصهر الوزير
بهاء الدين ابن حنا التغلبي المصري [illegible] سمع من الفخر الفارسي وعبد العزيز
ابن باقا وسبط السلفي وتردد معه عن الفارسي وكان فيه قوة وهمة ومن حشمة
يركب الخيل وصرفت مصالحه ويسعى في [illegible] وعنده دين وأدب
وهو كاف ولطف في ملقاه وتواضع وهو أعلى مرقاه ولم يزل على حاله
إلى أن انصرم أجله وبان انصرام حبله وتوفي رحمه الله تعالى [illegible]
سنة عشر وسبعمائة ومولده سنة ثلث عشرة وستمائة وسمع منه الدمياطي والحارثي
وشيخنا [illegible] وشيخنا العلامة قاضي القضاة السبكي [illegible] والنووي [illegible]
[illegible] وابن المنذر والشيخ [illegible] الشيخ [illegible] حضورًا [illegible]
وقرأ [illegible] الذهبي الأول من [illegible] للرئيس [illegible] وكان يركب الخيل
ويقوم [illegible]
ونعما هو الصاحب بهاء الدين

كتابخانه عمومى آيت الله العظمى
مرعشى نجفى - قم
قسمت نسخه هاى عكسى
شماره

الصفحة الأولى من النسخة (خ)

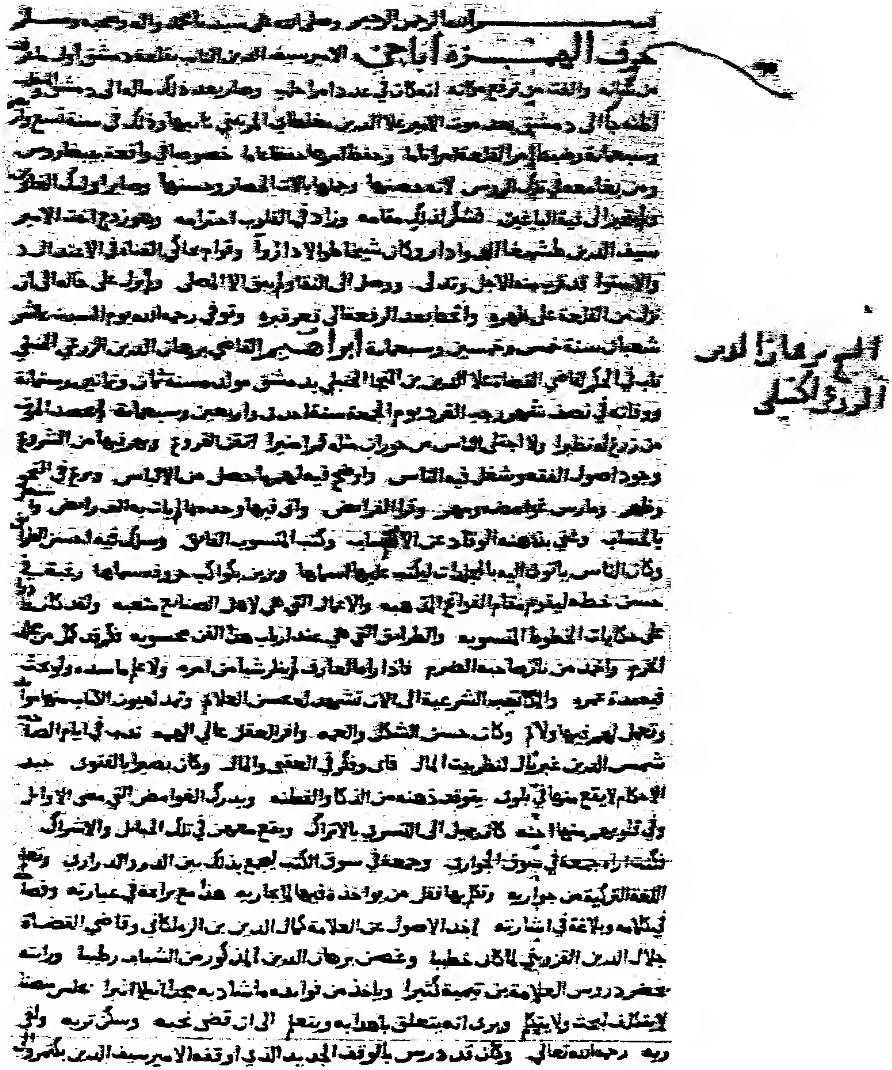

الصفحة الأخيرة من النسخة (خ)

علاء الدين بن الأثير طلبه السلطان الملك الناصر محمد ليكتب بين يديه شيئاً في السر على أن يجعله
كاتب سر فلما اخذ الامير سيف الدين الجاي الدوادار بيده ودخل به في دهليز القصر اخذت في
سراويله تاعق من الدخول ولما كبرت سنه غورت عينه وانهدت اركان قواه وهو ملازم البيت معتكف
اقول له لو وفرت نفسك وقعدت في بيتك كان خيراً لكان يقول اخاف انهم يقطعون معلومي ولم
يكن احد يقدم على ذلك لتقدم هجرته وثبوت قدمه في الخدمة ولكن كل ذلك من ضعف نفسه
وكان يكتب خطاً رديا ضعيفاً ولم يزل على حاله حتى توفي في سنة احدى واربعين وسبعمائة وكان
معلوم القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر قد رسم به للقاضي شهاب الدين محمود ولم يزل عليه
الى ان خرج الى دمشق كاتب سر فاعطي المعلوم للقاضي صلاح الدين المذكور ولما توفي رسم بالمعلوم
للقاضي جمال الدين ابرهيم بن الشهاب محمود يوسف بن محمد بن احمد بن صالح بن صارم بن خلوف
القاضي نور الدين بن تقي الدين بن جلال الدين بن تقي الدين الانصاري الخزرجي المعروف بالقوصي
اجتمعت به بالديار المصرية ثم انه ورد الى صفد وكان في ديوان نائبها الامير سيف الدين طشتمر
الساقي ثم توجه معه الى حلب ثم انه عاد الى مصر واجتمعت فيها به سنة خمس واربعين وسبعمائة
وكتب هو الي لما قدمت القاهرة في هذه السنة وجدنا الانس مولانا فلما وجدنا الانس انقذ ه
بقاكا وهام الطرف مني في انتظار وروم من الصبابة ان يراكا عجزت عن المزار فكنت ممن تواك به انتشا
من فواكا ولا عتب على شيخ ضعيف اذا ما قام لم يملك حراكا تعش لسرة الاحباب انا اذا ما عشت
عشنا في ذراكا وكان قد كتب الي بالقاهرة في سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة ابياتا جيدة ضاعت
من يدي وكتبت انا الجواب في وزنها ورويها وهو هدية لي من نظمك الناضر زهر ربا قد يعبالنا
نظمته شعرا فاقى الورى عن كل معنى حسن نادر يجاني لطف نسيم الصبا اذا سرى وهنا على خاطر
يكاد من رقة الفاظه يشرب في كاس الطلا الدائر من كل معنى فائق لم يدر في فكر نظام ولا ناثر
اين ابدعت المعاني التي فيه وما مرت على خاطر لو كان في عصر مضى ما رأى الناس البكا في الدار
الداثر ولا روى العشاق مع وجدهم تشبيب مجنون بني عامر ولا رأى الناس غزال الحمى بروق فيه
غزل الحاجب ولم يكن يسموا لفظه شواهد في المثل السائر فانت اولى الناس فينا بان تعرف
بالساحر لا الشاعر علوت نور الدين في ذروة تسمو على الواقع والطائر ولا ما تنظمه لم يكن لاول
فينا ولا اخر شعر متى ابتاعه مفلس بنفسه لم يك بالخاسر انه قد بالغت في وصف ما يثنى في
الباطن والظاهر لاني في ادبي قاصر واسع في بحر النهى الزاخر وليس ما اجمع مستحسنا في ادب
النادي ولا الحاضر واختار مولاي ان يكون من دون الورى جابري فاسلم ودم ما ابتسمت روضة
يكفي لها جفن الحيا الماطر وانشدني بها لغزا نظمته في قصب السكر وهو تحية لمعسول الرضاب
مهفهف يحاكي انابيب القنا عند نبته تناقض معناه الغريب فبوله على الراس راس والثمار
في اسنه ثم انشدني هو من لفظه لنفسه فيه في حلب ابصرت اعجوبة تحير اذكى الناس من عقله
شخصا رشيق القد عذب اللمى لا ينقد الروم على مثله وهو بلا عقل جزع الحشا والدود لا يشبع من
اكله لا يبرح البول على راسه والقيد لا ينفك من رجله يا من سما بين الورى قدره اكشف لنا عنه عن
اصله وانشدني من لفظه لنفسه في العصفر اشبه عصفرا في الروض يزهي وتنشيطي لهينه مقاربه

اخر التاريخ ولله تعالى الحمد وذلك في ثاني عشر ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة
وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

القاضي ... نور الدين بن خلوف

Biblioth. Regia

تقديم

مازن عبد القادر المبارك

الحمد لله حمداً يبلغ رضاه، وينيلني رضوانه.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، تلقّى وحي ربه، وفيه قصص عن أنبيائه، وأخبار عن أمم ماضية، وأحاديث عن رجال ونساء، منهم الصالحون ومنهم دون ذلك، وفيه توجيه من ربّ العالمين ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف ١٢/ ١١١].

وما أخبار الرجال وصنائعهم وأحداث حياتهم بمعنىً من معانيها إلا تاريخهم، وما تراجمهم إلا صورة لذلك التاريخ؛ تنشر معناه، وتبعث ذكراه بعد أن طوتهم القرون وغيّبتهم المنون.

ولقد اعتاد الناس في كل زمان أن يهتموا بالبارزين من رجالهم، يتناقلون أخبارهم، ويروون مآثرهم. ويزداد اهتمامهم بسيرة الرجل إذا اتصلت حياته بحدث عظيم.

وما من رجل اهتم الناس بحياته، وتابعوا سيرته، ورووها وحفظوها وحفّظوها أبناءهم، كما اهتم المسلمون بحياة رسول الله وسيرته صلى الله عليه وسلّم؛ فلم يتركوا أمراً يتصل بحياته أو سيرته، صغيراً كان أو كبيراً، بعيداً كان أو قريباً، إلا جاؤوا به على حقّه، رواية وتثبتًا وتوثيقًا.

لقد تابعوا سلسلة نسبه صلى الله عليه وسلم وصلات قرابته، ورصدوا حركاته وسكناته، ودوّنوا كلماته، فما نطق صلى الله عليه وسلم بكلمة حدّث بها أحداً من الناس أو من أهله أو من أصحابه، أو رفع بها صوته في صلاته أو دعائه، أو ناجى بها ربّه، إلا كانت عند المسلمين حديثًا يدوَّن ويتلى ويوثَّق، وإن اختلفت رواياته وتعددت أسانيده.

لقد حفظ المسلمون سيرة نبيّهم بأحداثها وتواريخها وأسمائها، وحفّظوها أولادهم حتى قال قائلهم: كنا نحفّظ أولادنا سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومغازيه كما نحفّظهم السورة من القرآن.

ولا شك أن تدوين أطراف من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم قد بدأت منذ عصر مبكّر، وإن ابن إسحاق والواقدي وابن سعد والطبري نقلوا عمّن سبقهم من أمثال عروة بن الزبير والشعبي وغيرهما.

ولم يلبث اهتمام المسلمين بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحياته، وأفعاله وأقواله، أن اتّسع حتى شمل أصحابه، وكل من نقل أو روى عنه، لا لأنه نبي الله فحسب، ولا لأنهم صحابته ومرافقوه فحسب، ولكن لأن ما يصدر عنه صلى الله عليه وسلم جزء من دينهم، لا بدّ فيه من الدقّة والأمانة والتثبّت، ولم يلبث أن أصبح الاهتمام بالرجال وتدوين تراجمهم علماً مستقلاً قائمًا بنفسه، ككل تلك العلوم التي بدأت بادئ أمرها بدافع ديني، وظل بعضها ينمو ويتسع في إطار تلك الصلة، لأنه متصل بالدّين نفسه، وثيق الصلة بكتاب الله أو سنة نبيّه، كالتفسير والفقه وعلوم القرآن وعلوم الحديث، كما اتسع بعضها وتشعّبت فروعه، ثم استقلّ بنفسه، كعلوم البلاغة التي نشأت في كنف البحث عن الإعجاز اللغوي والبياني للقرآن، ثم أصبحت عنصراً من عناصر النقد الأدبي عامة، ثم استقلت بنفسها، وكعلم النحو الذي نشأ بدافع المحافظة على اللغة عامة، ولغة القرآن خاصة، ثم لم يلبث أن أصبح علمًا قائمًا بذاته.

وكذلك اهتم العلماء بـ (الرجال)، من صحابة وقرّاء ومفسّرين ومحدّثين وفقهاء، كما اهتموا بالشعراء والأدباء واللغويين والنحاة والحكماء والأطباء والوزراء، بل لقد شمل اهتمامهم (الرجال والنساء) عامّة؛ فدوّنوا أخبار المشهورين منهم، أيّـًا كان ميدان شهرته، كما في كتب التراجم العامة.

ونمت الشجرة الطيبة التي غرسها الدين والحرص عليه في نفوس العلماء، حتى أصبحت فروعها نامية باسقة تشمل بلاد المسلمين كافة، وأصبحت علمًا برزت فيه أمتنا، يترجم العلماء فيه كل علَم من ذكر أو أنثى، أيّـًا كان مجال شهرته، وفي أي أرض عاش.

وكان للمكتبة العربية من ذلك ثروة لم تحظ بها في هذا العلم مكتبة أمة من الأمم، وكان لها في هذا العلم فنون ومناهج.

يترجم بعضها لأهل علم من العلوم.

ويترجم بعضها لأهل قرن من القرون.

ويترجم بعضها لرجال مدينة من البلدان.

ويترجم بعضها لعامّة الناس من أقدم الأزمنة حتى عصر المؤلف.

ويترجم بعضها لأهل عصر المؤلّف.

ولقد أقبلتُ على كتب التراجم منذ زمان تجاوز العقدين، كنت أقتصر قبلهما على قراءة كتب طبقات اللغويين والنحاة، ككتب السيرافي والزبيدي والقفطي والسيوطي، ثم انتقلت بعد ذلك إلى صحبة الرجال من كل فنّ؛ أقرأ الكتاب، لا أقرأ بحثًا عن ترجمة أحد، ولكني أقرأ الكتاب من أوله إلى آخره، كما أقرأ ديوان الشعر. ولست أكتم أنني لم أجد أحلى للنفس متعة، ولا أبعد عنها سأمًا، ولا أجدى عليها عائدة، ولا أبلغ فيها عبرة من كتب تراجم الرجال؛ تعيش معهم، تستمتع بطرائفهم، وتتنقّل بين طبقاتهم، وتفيد من تجاربهم، وتعتبر بما حدث لهم، ولا تملّ النظر في سلسلة من حياة الناس تعرضها أمامك مرآة أصدق من مرآة عصرك، وأبعد عن الزيف والخداع والمداهنة والرياء.

وحين وضعت لجنة التحقيق والنشر في مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي عددًا من الكتب المخطوطة بين يديّ، وطلبت ترشيح أحدها للنشر، وقع اختياري على كتاب (أعيان العصر وأعوان النصر) للصفدي، لأسباب منها:

(١) أن الكتاب - كما رأيت - مصدر من أهم مصادر القرن الثامن للهجرة (٦٩٦ - ٧٦٤هـ)، بما ضمّ من تراجم أهل ذلك القرن، وبما ورد في تراجمهم من أخبار وأحداث نثرها الصفدي، مجملة في حين، ومفصّلة في حين آخر، وبما نقل المؤلف فيه من كلام الناس وألفاظهم وألقابهم وتعبيراتهم، كما سمعها، وما نقل من تراجم بعض العلماء الذين استكتبهم تراجمهم، وما ذكره عن علماء عصره الذين عرفهم واتصل بهم.

والقرن الثامن للهجرة قرن غنيّ بمن عاش فيه من الرجال الذين تركوا آثاراً جليلة في كثير من ميادين الحكم والعمران والثقافة واللغة والأدب والنحو والفقه والتاريخ.

(٢) أن الكتاب مصدر توثيق لكثير من المعلومات التاريخية والاجتماعية والثقافية عن القرن الثامن؛ فلقد كان الصفدي يهتم بالمنزلة الاجتماعية لمن يترجم له، وبمكانته بين أقرانه، كما يهتم بتوثيق ما يقدّمه وضبط ما ينقله؛ من اسم ولقب وتحديد سنة الوفاة إذا ثبتت عنده، وذكر الشيوخ الذين لقيهم المترجَم أو أخذ عنهم، وذكر تلاميذه الذين أخذوا عنه، وتسمية مؤلّفاته...

وإذا كان المترجَم من أصحاب المناصب وأولي النفوذ والسلطان، كالأمراء والحكام والولاة، أصبحت الترجمة الصفديّة أقرب إلى التاريخ ووصف أعمال المترجم، وذكر الأحداث التي وقعت في عهده.

(٣) أن الكتاب موسوعة للتراجم والتاريخ والاجتماع واللغة والأدب وغير ذلك..؛ ففيه أخبار الرجال وسيرهم لمن أراد التراجم، وفيه الوقائع والأحداث لمن أراد التاريخ، وفيه العادات والتقاليد لمن أراد الاجتماع، وفيه النصوص الأدبية من شعر ونثر ومحاورات ومخاطبات، إلى جانب اللغة المحكيّة والأحاديث اليوميّة وما دار فيها من مصطلح ودخيل وعامّي. وفيه إشارات توثق بعض آثار ذلك القرن من مساجد وقلاع وسواها. وإنّ في كل ذلك لجديداً لا تجده في غيره.

(٤) أن الصلاح الصفدي، مؤلف (أعيان العصر وأعوان النصر)، إمام في الفقه واللغة والأدب والنقد والشعر والتاريخ، أخذ عن أعلام عصره كالحافظ المزي وابن جماعة وابن نباتة وأبي حيان والذهبي وابن سيد الناس.. وأنه على كثرة ما جمع من العلوم، يكاد يكون مختصّاً بعلم تراجم الرجال؛ وأن كتابه (الوافي بالوفيات) لجدير بأن يمتاز به من بين نظرائه ويعليه بين أصحاب التراجم، وهو صاحب المقدمة التي قال فيها الأستاذ محمد كرد علي - رحمه الله - : «هذه المقدمة وحدها كتاب علم برأسه، تنم على فضل كاتبها. وإن تاريخه جعبة من الفوائد والأوابد، فهي أشبه بمقدمة ابن خلدون لتاريخه. ومقدمة الصلاح الصفدي تعلي منزلة تاريخه الوافي الشافي».

(٥) أن الصفدي - رحمه الله - نشر في كتابه (أعيان العصر) صفحة من صفحات الحضارة الإسلامية في القرن الثامن للهجرة، ولم يكن في كتابه مجرد ناقل لتراجم الرجال،

يسرد أخبارهم بعيداً عنهم، لقد كان الرجل ذا حسّ إنساني تاريخي يرى في تراجم الرجال، والكتابة عنهم تاريخًا ممتعًا ومفيداً، ويرى في التاريخ مرآة للزمان.

لقد كان الصفدي يستروح إلى مطالعة أخبار من تقدّم، ومراجعة آثارهم، لأن الاطلاع على أخبار الماضين ووقائعهم ومآثرهم يجعلك معاصراً لهم وكأنهم لداتك وأترابك، من ساءك منهم عدوّك، ومن سرّك صديقك، ولكنهم درجوا قبلك وأنت على أثرهم.. فكيف إذا كان الذين يترجم لهم معاصرين له، قريبين منه. يقول الصفدي: «إن التاريخ للزمان مرآة، وتراجم العالم للمشاركة في المشاهدة مرقاة، وأخبار الماضين لمن عاقر الهموم ملهاة».

وهكذا يطل علينا الصفدي من خلال كتاباته عالمًا ثاقب النظرة، واضح الفكرة، يرى في ذكر تراجم الرجال تاريخًا يصوّر العصور الماضية، ويعكسها كما تعكسها المرآة، ويرى في الاطلاع على تراجم الرجال مرقاة إلى المشاركة في مشاهدتهم، ويرى في أخبارهم عزاء وسلوى.. ويرى في ذلك كله تاريخًا يفيد حزمًا وعزمًا، وموعظة وعلمًا، وهمّة تُذهب همًّا، وبيانًا يزيل وهْنًا ووهمًا. لذلك كله جمع الصفدي تراجم أعيان عصره، ونشر أخبارهم شأن من يرى في ذلك بعثًا لهم، قال: «والتاريخ فنّ لا يملّه طرف مطالع، ولا يسأمه سمع مصغٍ ولا مراجع. ولا يخلو من يقف على التاريخ من فائدة.... فإذا راجع التاريخ كان كمن شاهد من مضى، وعاين ما جرى به القدر عليه وقضى، وأنا أرى التاريخ والترجمة مَعاداً ثانيًا في المعنى لا في الوجود».

(٦) أن المؤلف قريب ممن يكتب عنهم، فليست أحكامه عليهم ولا أوصافهم التي يعدّدها منقولة كتلك التي ينقلها المؤلفون جيلاً عن جيل، ولكنها بنت المشاهدة والمشافهة. فما في أعيان العصر إلا ترجمة لمن أدركه المؤلف، أو لقيه، أو كان في زمانه ولم يره، ولكن نقل الأثبات إليه خبره، على نحو ما قال في مقدمته، وختم بقوله: «وأبتدئ ذلك من سنة ٦٩٦هـ وهي سنة مولدي».

(٧) أني عرفت الصفدي صاحب منهج واضح؛ يبسط منهجه بين يدي قارئه؛ فلقد رأيته في (الوافي) يفصل الحديث في مقدمته عن طرق المؤرخين في ترتيب مصنفاتهم، ثم يذكر ما يراه الأليق بالتاريخ، وما يراه الأليق بالتراجم، وكذلك يختار الأليق من أنواع ترتيب

الحروف، ويذكر طريقته في ضبط الأسماء والألقاب، وترتيب تتابعها، ويشير إلى ما ينبغي أن يكون المؤرخ عليه من الصدق والأمانة والدقة، وما ينبغي أن يكون من يترجم الرجال متصفاً به، من الاعتدال، والبعد عن الهوى، والاطلاع على أحوال الرجال، والقرب منهم. كما رأيته يدقق في تواريخ الوفيات، وآية ذلك أنه ترك عدداً من المترجمين لم يذكر سنوات وفياتهم؛ وهو لم يتركها سهواً ولا نسياناً، ولم يتركها لأنه وضع كتابه مسوّدة على عزم العودة إليه وتبييضه واستكمال نقصه كما ذهب إليه المحقّقون، ولكنه تركها لأنه ألزم نفسه ألاّ يذكر إلاّ ما تحقّق منه وثبت عنده، وقد سبق له أن قال في مقدمة كتابه الوافي: «ولم أخلّ بذكر وفاة أحدٍ إلاّ فيما ندر وشذّ، لأني لم أتحقّق وفاته».

(٨) ونضيف إلى ما سبق، أن كتاب (أعيان العصر) يعدّ بأسلوبه اللغوي، وتعبيره الأدبي، مثالاً من أمثلة الكتابة في عصره، وأنه يلقي الضوء على حياة مؤلفه بما فيه من إشارات كثيرة إلى شيوخه ومساجلاته وأشعاره، وتأريخ بعض مراحل حياته، وهو واحد من أشهر أعلام عصره، وأكثرهم آثاراً، وتأليفاً، درس القرآن والحديث والفقه، والنحو واللغة والأدب، وجوّد الخطّ، ونظم الشعر، وألّف في التاريخ والرجال والأدب والنقد واللغة والبلاغة.

(٩) أن كتاب (أعيان العصر) ليس كما يُظن مختصراً لكتاب (الوافي بالوفيات)؛ ولقد قال مؤلفه في مقدمته «كنت أنفقت مدة من العمر في جمع تاريخي الكبير الذي سميته الوافي بالوفيات، إلاّ أنه جاء مطوّلاً، فأردت بعد فراغي منه أن أقتصد وأقتصر، وأجمع تاريخاً لمن أدركه عصري، أو كان في زماني ولم أره، أو نقل الرواة الأثبات خبره، وابتدأت ذلك من سنة ست وتسعين وست مئة، وهي سنة مولدي..». ولكن الكتاب الجديد ليس في حقيقته مختصراً من (الوافي) وذلك على عادة القدماء حين يعيدون تأليف كتابهم مرتين أو ثلاثاً، أو يخرجون منه نسخة كبرى ونسخة وسطى أو صغرى، أو حين يختصرون، فإذا في الكتاب الجديد جديد لم يحوه القديم، يؤيد ذلك:

١ً - أن في أعيان العصر تراجم لا ذكر لها في (الوافي).

٢ً - أن في كثير من التراجم المكرّرة في الوافي وفي الأعيان توسّعاً وتفصيلاً لا اختصاراً وإجمالاً. يقول الدكتور فؤاد سزكين صاحب الفضل في الطبع التصويري للمخطوطة التي

أصدرها معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية من كتاب الأعيان سنة ١٤١٠ هـ = ١٩٩٠ م: «إن المؤلف يسرد في كتابه هذا أيضاً - يعني الأعيان - عدداً من تراجم الوافي بالوفيات، وذلك دون اختلاف بيّن بين الصيغتين في عدد من الحالات، بينما يلاحظ في كثير من التراجم المشتركة توسّع كبير في كتاب الأعيان مقارنة بما في الوافي. هذا بصرف النظر عمّا يسرده من تراجم أعيان عصره الواردة في كتاب الأعيان فقط».

ويؤيد هذا الاختلاف بين الكتابين، والتوسّع في كتاب الأعيان أيضاً ما ذكره الدكتور عدنان درويش في كتاب (صفي الدين الحليّ) الذي استخرجه من كتاب (الأعيان) للصفدي حيث يقول: «وعلى الرغم مما يبدو من احتفال بعض هؤلاء المؤرخين بالحلي وإطلاقهم العنان لأقلامهم في مدحه، وبسطهم القول في إطرائه والثناء على شعره وفضله في غيره من فنون الأدب من الكتابة والإنشاء والترسّل، على الرغم مما نجده من ذلك كله في كتبهم فإنهم لم يبلغوا شأو الصلاح الصفدي في إيلاء الصفي الاهتمام الوافي والاحتفال الزائد حين ترجمه في كتابيه (الوافي بالوفيات) و(أعيان العصر وأعوان النصر)، إلاّ أنه بسط الكلام بمدحه في الثاني بسطاً عريضاً، وأفاض بالإعجاب به إفاضة واسعة، ولا غرو في ذلك فأبو الصّفاء الصفدي معاصر للحلّي ورصيفه وأديب مثله، ينظم الشعر ويتذوّقه، وبينهما مطارحات شعرية ومعارضات، كل ذلك نراه مبسوطاً في (أعيان العصر وأعوان النصر)، هذا الكتاب الجليل الحفيل الذي لا يزال يرقد بكنوزه بين ذخائر المخطوطات العربية، لم ترفق به يد محقّق تجلو عنه غبار الإغفال، وتخرجه إلى ناس عالم الأدب منشوراً».

وبعد فهذا كتاب (أعيان العصر وأعوان النصر) للإمام الصفدي، تولى مسؤولية تحقيقه الدكتور علي أبو زيد، واختار للعمل معه ثلاثة من زملائه في قسم اللغة العربية بجامعة دمشق، وهم الدكتور محمود سالم محمد، والدكتور نبيل أبو عمشة، والدكتور محمد موعد. ولقد عرفتهم جميعاً وعرفت ما قدّموه في مجال التأليف والتحقيق؛ عرفت (المدائح النبوية) للدكتور محمود سالم وعرفت (غنية الأريب عن شروح مغني اللبيب) و(شرح الشافية) للجاربردي بتحقيق الدكتور نبيل، وعرفت (المجيد في إعراب القرآن المجيد) للسفاقسي بتحقيق الدكتور موعد.

وأما الدكتور أبو زيد فقد عرفت مشاركته في تحقيق أجزاء من (سير أعلام النبلاء)، و(البداية والنهاية)، و(الحلّة السيراء)، و(تفسير الباقيات الصالحات)، و(مختصر لآلىء العرب) وغيرها.

وكان من محاسن التحقيق الذي رافقتهم في مراحله الأولى أنهم صدروا جميعاً عن منهج واحد تواضعوا عليه والتزموه، وأنهم على قيام كل منهم بتحقيق نصيبه من الكتاب، قام الدكتور أبو زيد بالتنسيق بين أعمالهم حتى جاء الكتاب وكأنه صدر عن قلم واحد. وقد بذلوا في ذلك جهوداً طيّبة، واستطاعوا التغلّب على كثير من العقبات التي اعترضت العمل حيناً، وأخّرته حيناً آخر، وضاق الصدر عن قليل منها فتركوه، حتى جاء على هذا الشكل الذي أضفت عليه الدار الناشرة - وهي دار الفكر بدمشق - كثيراً من دقّتها وذوقها في الإخراج.

جزى الله مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي، صاحب الفضل في إخراج هذا الكتاب خير الجزاء، لما يقوم به من إحياء التراث وبعث نفائسه وتشجيع نشره، فلقد استطاع في زمن قصير أن ينشر عدداً من الكتب الجليلة في الفقه والتاريخ والنحو والأدب. وأثاب الله المحققين كفاء ما بذلوا من جهد ووقت. وأمدّ الدار الناشرة بالعون والسَّداد لمتابعة النشر العلمي الأمين. ورحم الله الصلاح الصفدي، الذي كان ابن واحد من المماليك فرفعه الله بإيمانه وعلمه درجات، بلغ بها مرتبة الإمامة؛ ﴿وإذا قيل انشُزوا فانشزوا يرفعِ الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير﴾ [المجادلة ٥٨ : ١١] والحمد لله رب العالمين.

مازن عبد القادر المبارك

دبي في ٢٠ من شعبان سنة ١٤١٧ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

كلمة أولى :

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصَّلاة والسَّلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ،

فإننا ما زلنا نكتشف كنوزاً جديدة من تراثنا كانت حبيسة الرفوف ، ثم قيَّض الله لها أن ترى النور وتخرج للناس وينتشر ما فيها من علم بينهم .

وكتاب (أعيان العصر وأعوان النصر) للصفدي واحد من أهم مصادر القرن الثامن ، كانت أجزاؤه متناثرة في عدد من مكتبات العالم ، ولم يُقَيَّض له من يجمعه ويخرجه ، إلى أن قام البحّاثة الأستاذ الدكتور فؤاد سزكين بتصوير مخطوط الكتاب ونشره كما هو ، فنبَّه الناس عليه ، ودلَّهم على ما فيه .

ومنذ أن وقفتُ على هذا المخطوط واطَّلعتُ على ما فيه وَقَرَ في نفسي أن أقوم بتحقيقه ، بيد أن الأمر وقتها كان صعباً ، والظروف لا تعين عليه .

وقد شاء الله تعالى أن يعينني على تحقيق ما كنت أصبو إليه ، ويقيض لي من سبل التيسير ما لم يكن بالحسبان . فتضافرت جهود كثيرة ، ونوايا طيبة مخلصة هيأت لهذا الكتاب أن يرى النور محققاً على وجه نسأل الله أن يكون مقبولاً .

فقد رغب إلي الأخ الفاضل محمد عدنان سالم مدير عام دار الفكر العامرة أن أتولى تحقيق الكتاب والإشراف على إنجازه ، تاركاً لي اختيار من يعينني على هذا الأمر . فتخيرت لذلك من توسمت فيهم الخير والمقدرة ، ووضعت منهجاً للتحقيق يتناسب

ومضمون هذا الكتاب وحجمه ، وشرعنا بالعمل ، وها هو اليوم قد انتهى على أتمّ وجه نستطيعه ، والله نسأل أن ينفعنا به جميعاً .

ولا بدّ في هذا المقام من شكر أهل الفضل الذين كان لهم أياد بيض على هذا العمل ، والاعتراف بجميلهم وحسن صنيعهم .

ففي مقدمة هؤلاء أستاذنا الجليل المفضال الأستاذ الدكتور مازن المبارك ، أمدَّ الله في عمره ، وبارك له فيه ، فقد كان وراء هذا العمل يحثنا على إنجازه ، ويوجهنا بآرائه السديدة ونظراته الصائبة ، نلوذ به كلما حزبنا أمر أو أشكلت علينا قضية ، أو فترت لنا همّة ، فنجده أباً حنوناً ، وأستاذاً عطوفاً ، وعالماً خبيراً ، يفيض علينا بنصائحه وتوجيهاته التي نهتدي بها حتى أُنجز هذا الكتاب ، فله منا الشكر أتمه وأجزله ، والعرفان بفضله ، ضارعين إلى الله عزّ وجلّ أن يديمه ذخراً للعلم وأهله .

ومنهم الباحثون الأفاضل والقيمون على مركز جمعة الماجد بدبي ، إذ كان لهم فضل البحث والتنقيب عن مخطوطات الكتاب وتصويرها من شتى مكتبات العالم ، فجزاهم الله خيراً ، وأعانهم على فعل الخير دوماً .

ولا يفوتني في هذا المقام أن أسجل الشكر والامتنان للأخ الفاضل الأستاذ محمد ناصر العَجْمي ، الذي قدم لي بكل نفس رضية عدداً من الأجزاء المخطوطة للكتاب كانت في مكتبته . أثابه الله عنا كل خير .

وها هو كتاب (أعيان العصر وأعوان النصر) يرى النور من جديد بعد أن ران عليه غبار نحو سبعة قرون ، وقد بذلنا فيه من الجهد ما أعاننا الله عليه ، مع الحرص على خدمة هذا الكتاب وتحقيقه تحقيقاً علمياً يعين القارئ على الإفادة والنفع منه ، راجين الله تعالى أن يتقبله منا ، وأن يغفر لنا زلاتنا ، فما نحن إلا بشر من البشر ، نخطئ ونصيب ، والله المستعان ، هو حسبنا ونعم الوكيل .

علي أبو زيد

الكويت في : رمضان المبارك ١٤١٦ هـ
آذار ١٩٩٦ م